الحوار في المسيحية

الدكتور/ نجيب جبرائيل
رئيس منظمة الاتحاد المصري
لحقوق الإنسان

للجميع خالص تقديرنا و احترامنا

يسعدنا كل السعادة أن نلبي هذه الدعوة الكريمة، وأن نشارك في أعمال هذا المؤتمر الهام الذي هو في حقيقته أداة لوضع لغة مشتركة حية ومفهومة بين كل أصحاب الديانات مهما اختلفت انتماءاتهم وتعددت مشاربهم ، واختلفت طريقة تعبدهم للإله الواحد الذي نعبده جميعاً: مسلمون ومسيحيون ويهود

ويطيب لي أن أتناول في هذه الكلمة الوجيزة موضوعات خمسٍ، و هي على النحو التالي :

١- ما وصل إليه عالمنا اليوم في الصراع بين أتباع الأديان.

٢- أن الحوار يجب أن يكون وسيلة لتحقيق مبدأ التعايش المشترك .

٣- أننا نسعى جميعاً بألا يكون بيننا خلاف بل اختلاف.

٤- كيف تكون لنا لغة مشتركة و مفهومه.

٥- آليات حماية البشر من التطرف و الإرهاب و الإلحاد

أولاً: ما وصل إليه الصراع بين أصحاب الأديان

نحن نؤمن جميعاً بأن الأديان جوهرها المودة والرحمة والمحبة والشفقة ومكارم الأخلاق وتقديم الغير ونبذ الأنا ونجدة الضعيف وإنصاف المظلوم ورفع الغبن عن المقهور وتحرير النفس من الذات وتجنب استغراق الجسد في الملذات والشهوات ؛ كل هذه مباديء و قيم و مُثل لا يخلو منها أي دين من الأديان.

ومهما اختلفت العقائد في بعض جوهرها ؛ إلا أن القاسم المشترك هو نظرتنا جميعاً و إيماننا جميعاً بالإله الواحد خالق البشرية والسماء والأرض، لكن هناك من اتخذ لنفسه – سواءً أكان فرداً أم هيئة أم دولة – لواء حماية هذا الدين دون غيره، كما لو كان الدين قد اختص به دون سواه ؛ أو كما لو أن الله هو الذي خاطبه و عينه حارساً لدينه.

صحيح نحن جميعاً حماة لأدياننا، و علينا صون قيمتها والحفاظ عليها، ولكن لابد أن يأتي دورنا في هذه الحماية في ضوء المنظومة الإلهية، وليس من منظومة البشر؛ بمعنى أننا ننفذ تعاليم إلهية ونكرسها وننشرها ، فهي كائنة قبل أن نوجد، وهي مقررة، وليس لنا أن ننشئها، فنحاول بطبيعتنا البشرية التي كثيراً ما تغلب عليها الأنانية إعطاء تفسيرات وشروحات وفتاوى، ليست على حساب الدين الآخر أو عقيدته، وإنما على حساب ذات الدين أو ذات العقيدة ، فتتحول تلك التفسيرات إلى نوع من الصراع و بؤر للاقتتال، وهذا ما نشاهده الآن ليس بين أصحاب الديانات فحسب، بل بين أتباع الدين الواحد، فهناك اختلافات وصلت إلى حد الصراع بين السنة و الشيعة في

العراق، و بين الكاثوليك و البرتستانت في ايرلندا والبوسنة و الهرسك، حتى أن زعيم أكثر من ملياري مسيحي في العالم صرح بأن مذهبه هو الأولى بالاتباع دون غيره، وأن نهجه هو الطريق الصحيح الوحيد لأتباع السيد المسيح، لا أريد أن أدخل في مناقشات قد تجعل من الحوار محاولات عقيمة، وإنما استطردت بذكر تلك الأمثلة، لكي أدلل على أن ما وصل إليه حال أتباع الأديان من صراعات وصلت بنا إلى الحروب والاقتتال، فهل هذا ما تنادي به الأديان من محبة وسلام وتعاطف وتراحم؟!

إذن العيب لا يمكن إلا أن يكون بدواخلنا وما فيها من بؤر الحقد والأنانية وتغليب المصالح وتغليفها بلباس الحفاظ على الدين .

أيها السادة الحضور، لقد اجتمعنا اليوم؛ لا لنصف الداء فحسب، و إنما لتوصيف الدواء أيضاً ، وهو ما نأتي إليه في النقطة الثانية.

ثانيا: أن الحوار وسيلة لتحقيق مبدأ العيش و التعايش المشترك

وقبل أن أبدأ الحديث في هذه النقطة اقتبس ما قاله الأستاذ مرسي عطالله رئيس مجلس إدارة جريدة الأهرام في عددها الخميس الماضي ، فقد قال: " في تاريخ أمتنا العربية الإسلامية رجال وأئمة ملأ الإيمان قلوبهم وفهموا الإسلام على حقيقته، فانتشروا في الأرض ينشرون مبادئه دعاة عدل ورواد حضارة، يؤلفون بين القلوب لجمع شمل الأمة، ويفسرون ما يغمض على الناس بروح سمحة، من هؤلاء الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والذي كان سابقاً لعصره وزمانه في تأكيد أهمية الشورى في الثقافة الإسلامية من قبل أن

تعرف الأمم الأخرى شيئاً عن الديمقراطية " .

أحدثت آراء الإمام الشافعي باستنارتها نهضة فكرية و دينية ، كما كان لها أصداء واسعة ليس في مصر وحدها ؛ و إنما على امتداد العالم الإسلامي بأسره؛ حيث كانت حلقاته اليومية الثلاثة ملتقى كل دعاة العلم والمعرفة والتفقه في شؤون الدين، و لم يكتف بدروسه في القرآن و الحديث، وإنما كانت من أهم حلقاته أيضاً حلقة الأدب و المعارف الإنسانية .

سيدي الرئيس، حضرات المشاركين الكرام، الحوار في رأينا لابد وأن يكون له هدف، فهو وسيلة وليس غاية، فالحوار قد يوصلنا إلى نتائج مشتركة أو قد يوصلنا إلى مرحلة هامة من مراحل التقارب أو قد لا يوصلنا إلى ما نتفق عليه جميعاً، و لكن من المهم أن يصل بنا في النهاية إلى أرضية الاحترام المتبادل حتى مع أوجه الاختلاف، فلا يمكن أن يكون الحوار مشروطاً، و لا يمكن أن يصطبغ بإملاءات معينة أو أن يكون فيه شروط للاذعان أو بنود مسبقة؛ لابد من الموافقة عليها في هذا الحوار؛ فضلاً عن أنه محتوم الفشل، فهو في حقيقة الأمر لا يسمى حواراً، و إنما يسمى إلزاماً، و هو ما لا يقبله أحد، فأصحاب الحوار يجب أن يضعوا نصب أعينهم أنه ليس بلازم أن يصلوا إلى اتفاقات و آراء متطابقة أو بصمة كربونية، وإنما لابد أن يكون الهدف على الأقل هو وجود مساحة مشتركة للتفاهم والتقارب، أو على الأقل نزع لغة الصراع والتشدد، وأيضاً لا يمكن في الحوار أن تسعى فئة أو طائفة أو أصحاب دين أو عقيدة إلى تغليب ما نؤمن به على عقيدة الآخر أو مذهب الآخر، وحتى ينجح الحوار أيضاً لا يمكن أن يعطي إحساساً للطرف

الثاني أو الآخر أو حتى مجرد شعوره بأن الأول يريد أو يسعى إلى طغيان فكرة أو سيادة فكرية عليه، أو لا يشعر بأن هناك امتهاناً أو إقلالاً أو نوعاً من التطرف تجاه دينه .

إن الحوار في نظرنا يجب أن تكون غايته تغطية المساحات التي يمكن أن نشترك و نتفق عليها أكثر من المساحات التي نختلف فيها عليها بكثير ، ويجب أن لا يأخذ الحوار شكلاً مظهرياً في صورة يقدمها المتحاورون إلى العالم بأنهم يسعون إلى الحوار لتقليل الفجوة بين المختلفين، وربما تكون هذه الصورة من صور هذا الحوار هي صورة مفرغة من مضمونها، أي أنها مرآة، ولكن مرآة مطموسة وغير عاكسة بسبب الإصرار على فكرة الدين أو العقيدة الأفضل، وحتى إذا كان البعض منا - وهذا حق - يعتبر دينه و عقيدته مهما اختلفت مع الآخرين ، لكن فكرة الدين الأحق أو العقيدة الأفضل ليست من اختصاص البشر، وليس مبعثها المتحاورون، و إنما أصلها ومرجعيتها الذات والعزة الإلهية، و من هنا يجب أن تسودنا القاعدة الهامة والشهيرة التي نؤمن بها في مصر، وأعتقد أنها لا تخالف أحداً مهما كان موطنه، و هو " أن الدين لله وحده، و الوطن للجميع " و من هنا نصل إلى إمكانية التعايش المشترك رغم اختلاف أصحاب و أتباع الأديان في تفسيرهم لعقائد الآخرين

ثم نأتي إلى النقطة الثالثة و هي :

ثالثاً: كيف نسعى جميعاً بأن لا يكون بيننا خلاف، بل اختلاف؟

لعل هذه النقطة لا تختلف عن سابقتها كثيراً، و إنما جاءت لتأكيدها

وإعلائها من خلال التأكيد على أن هناك أموراً كثيرة بين أتباع كل دين هي أمور جوهرية لا يمكن المساس بها و كما يسميها البعض - حتى في بعض الأمور الدنيوية - خطوط حمراء لا يمكن الاقتراب منها، هي ثوابت عقدية يجب احترامها كما هي، و لا يجوز فيها التفسير أو الاجتهاد، ولأنها قد تكون نصوصاً قطعية الدلالة والثبوت، وهذه الأمور توجد في كل الأديان، وإن كانت الأديان جوهرها واحد، و أننا جميعا نحن أتباع الأديان لا نعبد سوى الله سبحانه و تعالى ، وإزاء هذا الاختلاف في بعض النقاط والتي تكون جوهرية يجب أن نفرض بأن هذا الاختلاف لا يمكن أن يؤدي إلى الخلاف، لأن أتباع كل دين لهم الحق في أن يختلفوا مع الآخرين فيما هو عندهم نصوص قطعية وثبوتية، ومن ثم فإن هذا التساوي في مبدأ الاختلاف ينتج عنه - أو لابد أن ينتج عنه - مبدأ الاحترام لهذا الاختلاف، ولا يجب النظر إليه أو النظر إلى بعضنا بسبب ذلك؛ بأننا على خلاف؛ فالاختلاف يختلف تماماً عن الخلاف، لأن الاختلاف هو روئ ووجهات نظر وتعددية يجب أن يقبل كل منا الآخر ويحترم وجهة نظره، أما الخلاف فيؤدي إلى التشدد والكراهية والصراع، وهو ما يبعد عن مفهوم الحوار، فالاختلاف سنّة وطبيعة بين بني البشر، فنراه في التكوين الجسماني للإنسان، وفي العادات والتقاليد وسلوكيات البشر.

والاختلاف ليس بين أصحاب الأديان، بل نجده بين أصحاب الدين الواحد والمذهب الواحد، فلو اعتبرنا ، أو لو حولنا هذا الاختلاف إلى خلاف لأصبحنا داخل غابة لا يؤمها إلا الوحوش الضارية. وهذا ما

يجرنا إلى النقطة الرابعة في هذا البحث وهي:

رابعاً : كيف تكون لنا لغة مشتركة ومفهومة؟

الطيور في الجو كل منها يفهم الآخر، والحيوانات في الأرض كل منها يفهم الآخر حتى إن هناك مهناً ووظائف لها لغة يفهم كل منها الآخر؛ مثل الطيارين و الملاحين، أفلا يجدر بالإنسان الذي خلقه الله على صورته ، وخلقه في أحسن تكوين وتقويم ؛ ألا يجدر به أن يفهم أخاه الإنسان، وأن تكون لهم لغة مشتركة مفهومة في الحوار، وإلى ما تمتد إليه أيديهم في سبيل خدمة البشرية الإنسانية .

ولا أقصد باللغة المشتركة اللغة بمفهومها الدارج، وهي المفردات والمصطلحات و المفاهيم اللغوية، فكل منا يعتز بلغته وقوميته وتراثه وثقافته، وإنما المقصود باللغة والتفاهم المشترك والمفهوم هي لغة العقل والمنطق، لغة الحب الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، لغة أنا أعرف ثقافتك، وتعرف ثقافتي، أقصد الثقافة الدينية حتى وإن اختلفت معك، أعرف تراثك، و تعرف تراثي، أعرف كيف أن أدياننا وعقائدنا سبقت دساتير العالم في إعلاء مبدأ حرية العقيدة واحترام ثقافة وقبول الآخر ، أعرف أننا نتمتع بذخيرة غنية من المباديء والقيم قبل أن يسطرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وقبل أن تسطرها الاتفاقيات الدولية، أعرف أن اللغة المشتركة أن لا يكفر أحدنا الآخر، ولا يزدري بدينه أو يحاول النيل منه أو يحض على كراهيته.

لقد كان للكنيسة القبطية الأرثوذكسية برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث

ولمسيحيي مصر وقفتهم التاريخية إلى جانب إخوتهم المسلمين ،حينما تعرضوا ودياناتهم للازدراء بسبب الرسوم الكاريكاتورية من الجريدة الدنماركية، وأيضاً إبان فيلم "فتنة" الهولندي، ولقد وقفت منظمتنا "الاتحاد المصري لحقوق الإنسان" وقفة احتجاجية يشهد بها العالم أجمع ضد هذه الهجمات الشرسة ضد الإسلام والمسلمين، لم يكن ذلك مجاملة، و إنما عن قناعة في أنه يجب احترام كافة العقائد والأديان، مهما كان بيننا من اختلاف، وأن الشخص المفلس و المتطرف و المتشدد هو الذي يحارب ويزدري الدين، ولا أقول هذا على سبيل الفخر، و إن كان هذا من حقي ، و إنما لأسرد كيف كانت وكيف تكون اللغة المشتركة التي تولد الإحساس المشترك لدرء البغض والازدراء .

إن اللغة المشتركة تعني لنا أن نعيش و نترك الآخرين يعيشون، و إن اختلفوا معنا في العقيدة أو الدين طالما أنهم مسالمون ولا يقاتلون، واللغة تعني التواصل بين أصحاب الديانات والعمل على نشر الحب والبعد عن البغض والكراهية، واللغة تعني أن لا يعيش أصحاب أو أتباع الدين في كاونتونات و جزر منعزلة عن الآخرين، أو أن يشار إليهم، أو حتى يشيرون إلى أنفسهم ، أو يتميزوا ؛ سواء أكان تميزهم إيجابياً أو سلبياً.

وتعني أيضاً حقهم في ممارسة عقائدهم وفتح أماكن عبادتهم وحماية ممتلكاتهم، ليس باعتبارهم أصحاب أو أتباع دين، ولكن باعتبارهم مواطنين يعيشون في قارب واحد.

ثم نأتي إلى النقطة الخامسة و الأخيرة و هي :

خامساً : آليات حماية البشر من التطرف والإرهاب

وسوف نتناول هذه النقطة في صورة بنود و مقترحات:

أولاً : التأكيد على أصحاب الديانات المختلفة وخاصة إظهار وشرح صحيح الدين و بطريقة غير منفرة، بطريقة تدعو إلى الترغيب؛ لا الترهيب من الدين، وتدعو إلى بث روح الأمل والرجاء ، وليس القنوط و اليأس.

ثانياً : تغيير وتجديد الخطاب الديني بأن يكف عن مهاجمته الدين الآخر وأتباعه واتهامه بالكفر وتغليب دين على آخر، بل يكون وسيلة هذا الخطاب هو الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

ثالثاً: أن يتم التركيز من أصحاب الديانات المختلفة وخاصة من جانب الدعاة و العلماء ورجال الدين الإسلامي والمسيحي واليهودي على القواسم المشتركة وأيضاً على مساحات الاتفاق، وإذا كان لزاماً علي ذكر مساحات الاختلاف أو مناطق الاختلاف، فيكون ذلك قاصراً على أماكن الدرس والدراسات المتخصصة مثل كليات الدعوة و كليات اللاهوت، ولا يكون تناول موضوعات الاختلاف بطريقة أو بغض أو كراهية، وإنما بطريقة موضوعية تؤيدها الدراسة و البحث.

رابعاً: السعي إلى تأليف الكتب المشتركة التي تجمع القيم و المباديء التي تعززها الأديان وتكرس حقوق الإنسان وقبول الآخر، وأيضاً التشجيع على العمل الفني المشترك وإظهاره قدرة الله ووحدانيته وحبه للبشر ونشر الخير والسلام على هذه البسيطة.

خامساً: العمل جميعا على وأد أي تفرقة أو صراع أو خصومة في مهدها ولتكن هناك لجنة منبثقة دائمة عن هذا المؤتمر لمتابعة توصياته و إنشاء كوادر جديدة لوأد أي شقاق أو خلاف وتضييقه ومحاصرته .

سادسا: أقترح عمل منتدى لحقوق الإنسان يتبع رابطة العالم الإسلامي، تكون مهمته نشر ثقافة حقوق الإنسان بين أصحاب الديانات المختلفة تتولاها الرابطة؛ لرصد أي انتهاكات بواسطة مرصد لهذا المنتدى؛ وخاصة تلك الانتهاكات المتعلقة بحرية العقيدة وممارستها ومنع ازدراء الأديان وأن يكون لهذا المرصد صلة بالهيئات الدولية وخاصة المجلس الدولي لحقوق الإنسان وأن يشارك في هذا المرصد ممثلين عن أصحاب هذه الديانات والمهتمين بهذا الشأن.

سابعاً: أقترح أن ينشأ موقع إعلامي؛ مثل قناة فضائية مشتركة للمسلمين والمسيحيين واليهود تتناول مسائل تعطي المثل والقدوة للوصول إلى العيش المشترك وتمنع ازدراء أي دين من الأديان وتعطي النموذج الصحيح لمفاهيم الدين.

ثامناً: السعي لدى الجهات الدولية بالتعاون مع المنظمات الدولية لإنشاء ووضع قانون جنائي لمحاكمة كل من يزدري دين من الأديان سواء أكان فرداً أم جماعة أم هيئة أم دولة وإنشاء محكمة جنائية دولية لمحاكمة هؤلاء على غرار المحكمة الجنائية الدولية لمجرمي الحرب .

تاسعاً: يجب أن تكون هناك خطوط فاصلة وواضحة و تميز دقيق بين حرية

التعبير والرأي وازدراء دين من الأديان، ويجب أن لا تستغرق نظرية احترام حقوق الإنسان في رأيه وفي تعبيره نظرية حقوق الإنسان في احترام معتقده و ديانته.

عاشراً : أن تكون هناك نشرة دورية وغير دورية تصدران عن رابطة العالم الإسلامي يشترك فيهما أصحاب الفكر والثقافة والدين؛ للوقوف على آخر مستجدات في عالمنا العربي والإسلامي والبشرية جمعاء.

وأخيراً : أنقل لكم تحيات الشعب القبطي في مصر، وعلى رأسه قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية صاحب القول المشهور "إن مصر ليست وطن نعيش فيه، و إنما هي وطن يعيش فينا " ، وهو صاحب القرار الشهير بأن الأقباط لن يذهبون للقدس إلا مع إخوتهم المسلمين .

حفظ الله خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود وأعطاه كل صحة وعافية.

وشكراً خالصاً لمعالي الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي والشكر للسادة الحضور.